القرآن الكريم واللسان العربي
-مدخل تأملي في إعجاز القرآن وجمال العربية –

*- العيد علاّوي
المركز الجامعي نور البشير البيض

البريد الإليكتروني**atoufik841@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/05/10	تاريخ القبول:2020/09/24	تاريخ النشر: 2020/11/10

ملخص:

لا شكّ أن القرآن الكريم –كما هو شائع ذائع- مفجّر علوم العربيّة؛ لكونها السّبيلَ لفهمه والكشف عن نكته ومكنوناته، ولما اقتضاه العامل الطارئ المتمثّل في اتّساع رقعة الإسلام والاختلاط بالأعاجم المؤدّي إلى انحراف الذّوق وقلّة الفصاحة...

وإذا كان هذا العامل - آنذاك – اقتضى التّفكير في سبل اكتساب اللّسان العربيّ وصونه من الخطأ والزلل، فيبدو أن المنظّمين لهذا الملتقى، وبالنّظر إلى ما يواجه العربيّة اليوم من تحدّيات(تعليم لغات أجنبيّة للأطفال الصّغار، ومزاحمة تلك اللّغات للّغة الأم، ومزاحمة اللهجات العاميّة للّسان العربيّ الفصيح)؛ شخّصوا الإشكال جيّدا، واقترحوا الحلول بتحديدهم سبل اكتساب اللّغة (الاستماع إلى الكلام العربيّ بدءاً بالقرآن، سماع ما يُذاع في وسائل الإعلام الناطقة بالعربيّة، قراءة النصوص الأدبيّة وحفظها، تعلّم علوم اللّسان العربيّ، تفحص المعاجم العربيّة، المدوامة على الفصاحة والبلاغة تحدّثا وكتابة).

وبما أن عطاء القرآن الكريم دائم ومستمر، تأتي هذه المداخلة - وهي في الأصل عرض تجربة- لتنطلق مما تقدّم، ومن بعض الأسئلة التي وُجِّهت إليّ من قبل تربويين أو مثقّفين أو عوام أومن قبل الطّلاب في قاعات الدّرس أثناء قراءة النصوص الأدبيّة التي نتّخذها مُنطلَقا لتعليم النّحو.

ويمكن القول إن النّظر في تلك الأسئلة والإجابة عنها كان يقتضي -أحيانا- الرّجوع إلى كتاب الله، وكنت ألتمس حينا الجواب والنكتة في قراءاته، واقتضى الجواب حينا آخر الرّجوع إلى المعاجم، والغريب أن الجواب أحيانا كان يرتبط بلهجتنا العامية؛ مما يجعلني أدعو إلى دراستها، وتلمّس ما فيها من رواسب الفصحى، واستثمارها في خدمة القرآن والعربية، وسأعرض في مداخلتي نماذج تبيّن إعجاز القرآن الكريم وجمال العربية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإعجاز، اللسان، الملكة،...

Summary
Undoubtedly and as it is known, the Holy Quran is the rise of Arabic sciences (fields of the Arabic language), since it is the means of understanding it and even to reveal its interior, also in the urgent

need represented by the extension of Islam and the mixing with non-Arabs, which led to a deviation and lack of eloquence of this language.

Since, the Holy Quran is a gift of great generosity, a permanent and continuous gift. This intervention is first of all a presentation of an experience. But also, it stems from what is previously cited and from a set of questions that have been asked and addressed by educators, intellectuals and / or sometimes even from ordinary citizens, and especially by students during work. on literary texts taken as the starting point of grammar.
Thus, it is to say that the examination of these questions and the advanced answers, asked, sometimes, to return to the Holy Quran, while seeking, the precise meaning, beautiful and which arouses a pleasure in AL-KIRAATE AL CORANIA . Other times the answers given have been from dictionaries. But however, what is strange, some of these answers have been closely linked with our dialect, which calls for the study of the latter, the deep research of the presence of the Arabic language and why not their use for the benefit of the Holy Quran and the Arabic language. This intervention exhibits models showing the miracle of the Holy Quran and the beauty of the Arabic language

. Keywords: Holy Quran, Arabic language, AL-IJAZ, competence

1. مقدمة:

جاء في أثر أن العلم ثلاثة أشبار: من حقق الشّبر الأول ورضي به جهل، ومن حقق الشّبر الثّاني تواضع، ومن حقق الشّبر الثالث أدرك أنه لم يعلم شيئا. يمكنني القول إن المرء كلّما تلقّى كتاب الله أو أحاديث نبيّه أو كلام العرب(شعرا ونثرا) أو تناول كتابا من كتب علماء العربية أدرك عجزه عن بلوغ منتهى العلم والإحاطة باللّسان العربيّ، وأدرك شرف هذه اللّغة وسجّل إعجابه بها وانبهاره.

لعل القارئ لهذه النّماذج المنتخبة سيقف على عظم هذه اللّغة وعظم كتابها، ويتجلّى لديه حجم المسؤولية الملقاة على أبنائها؛ من حيث خدمتهما، بالنّظر في مسائلهما ودقائقهما...، والانكباب على العلوم التي تعد المدخل للفهم والتدّبر والتّأمل...، والارتباط بأمّات المدوّنات والمصنّفات التي تفتح المستغلق وتمكّن من النّفاذ إلى العمق.

يقتضي النّظر في مسائل القرآن واللّغة بوجه عام التثبّت والأناة في الجواب، والبحث والنّظر، وعدم ردّ وجه إلا بدليل، وإن غاب الدّليل احْتُفِظ بذاك الوجه، عسى أن يكون قد قام على دليل لم نعلمه.

سأعرض ستة نماذج(أسئلة)، وغيرها كثير ما يزال مدونا في كناشات يحتاج العرض والتحليل؛ بذكر منطلقه، وكيفية التعامل معه عند طرحه، وبيان ما أسفرت عنه عملية البحث والنظر فيه، وتلك النماذج هي:

-معنى "الخراصون" من قول الله تعالى: ﴿ **قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**- الذاريات 10 التعبير بـ"العقل" عن الدية؛

-حذف ياء المنقوص وإثباتها؛

- تكرار "لا" النافية(إعراب الثانية وإعراب ما بعدها)؛

- تعدي الفعل(هدى) إلى مفعولين؛

- ماضي الفعل(يدَع)، الدال على الترك.

2. النموذج الأول(الخراصون):

النموذج عبارة عن سؤال وُجه إليّ من أحد شباب بلدتي زمن قضائي الأجازة، ويجعلني هذا السؤال أذهب إلى أن المسجد(الجامع) [1] ينبغي له أن يضطلع بمهمته الكبرى من تعليم وإقامة مجالس علمية في مجالات مختلفة، منها ما يتعلق بتتبع دلالة ألفاظ القرآن وسياقاتها، باعتبار هذا مدخلا لا غنى عنه لطالب العربيّة، وطالب التّفسير، وللراغب في فهم معاني كتاب الله.

ويجعلني أذهب إلى أن الجمعيات التي تعنى بالجانب الثقافي والعلمي ينبغي لها هي الأخرى أن تجعل هذا الأمر من صميم اهتماماتها؛ خدمة للقرآن وللّسان العربيَّ، ورعاية للناشئة التي تحتاج إلى قُدوات تنير الدّرب وتقوم السّبيل وتربطه بأصالته، فيقتبس من معين القرآن، ويتذوّق جمال العربية ويتلمّس جلالها.

قد أجازف إن قلت: إن القارئ ليقرأ كتاب الله ويمرّ على هذه اللفظة سواء في بنيتها الفعلية[2] أم في بنيتها الاسمية[3] مثلما يمرّ على أي لفظة دون أن يمعن النّظر فيها، أو يحدد معناها، أو يقف عند جماليتها أو حجاجيتها أحيانا.[4]

أجبت صاحبي قائلا: إذا كنت تعرف خرص النخل، فاللفظة لها علاقة به، فلحظت الاستغراب منه، فتذكرت قصة الخليفة أبي بكر حين سئل عن الفاكهة والأبّ، وما روي أيضا عن عمر بن الخطاب، [5] فتوجست، وأخبرته أن القول في كلام الله يحتاج إلى التّأني في النظر، فراجعت اللفظة في المصادر المختصة، فوجدت أن المادة – في عرض السمين الحلبي- يمكن أن تقرأ من الأعلى إلى الأسفل أو من الأسفل إلى الأعلى، وأن للفظة حظا في عاميتنا الجزائرية وبالدلالة نفسها؛ فبعد أن أَذِنَ لي صاحبي أن أعرض المسألة من الأعلى إلى الأسفل-مثلما عرضها السمين الحلبي، فقد اشتمل عرضه للمادة على: [6]

-ذكر آيتين[7] من أصل(خمس آيات)؛

-تحديد معنى الخرص بـ(الكذب)؛

- ربط هذا المعنى(الكذب) بالأصل الذي أُخِذ منه(المعنى الحسي)؛ خرص النخل، وبيان اختصاصه بالنخل والكرم،[8] وأن عبد الله بن رواحة كان خارصَ الرسول صلى الله عليه وسلم؛

- تعليل علاقة المعنى الثاني(الكذب) بـالمعنى الأول(خرص النخل)، والتميز بينهما؛ بذم الكذب واستحسان خرص النخل أو غيره، بقوله:"فأُطلق[الخرص] على الكذب؛ لأنه من غير تحقيق ولا غلبة ظن[التحقيق]، إلا أن الكذب قبيح، وهذا[خرص النخل]ليس بقبيح "،[9] يقول ابن فارس"والخرَّاص: الكذاب، وهو من هذا؛ لأنه يقول مالا يعلم ولا يَحُقُّ"[10].

-وأوردَ أن من المادة(الخُرص) للحلقة الصغيرة من الحلي، واستشهد بالحديث:((لما حثّهن على الصَّدقة جعلت إحداهن تُلقي الخاتم والخُرْص))، ومنه أيضا: خَرَصْتُ الدابة: جمعت بين شُفْرَيْها بخُرص أي حلقة.

وفي جولة فكرية للنظر في المادة من الأسفل إلى الأعلى، وبالانطلاق من العامية وحظ المادة(خرص) فيها؛ ففي العامية يقال: خرّصت الأفعى، أو بالتركيب الاسمي: الأفعى خرّصت، أو الأفعى مخرّصة؛ إذا غابت في التراب

على شكل حلقة، وقد عبّر عن هذا السائل بقوله: يقال لها "خرّصت" من الشكل الدائري الذي تأخذه، و"القرط" الذي يأخذ هو الآخر شكلا دائريا، يقال له في العامية: الخُرص، والخارص يدور و يجول في المزرعة للقيام بمهمته، ولما كان الخارص يدور في حديثه أُعْطِي له هذا الفعل.

يؤكد لنا هذا النموذج(السؤال) فكرة أخذ المعاني من الصور المحسوسة، ويكشف عن رواسب العربية الفصحى في لهجتنا العامية، وأن فهم كتاب الله وأحاديث نبيه وتذوق جمال العربية وإدراك جلالها يحتاج إلى عمل فردي يقوم به الفرد على مستوى ذاته، وعمل جماعي يُناط بالمؤسسات ذات الصلة.

3. النموذج الثاني(الدية عقل):

يعود هذا السؤال إلى كرسي السيرة النبوية الذي يشرف عليه أحد الفضلاء،[11] بمسجد من مساجد الوطن، ففي مجلس من تلك المجالس نقل الشيخ أن الدّية تسمى"عَقْلا"، فلما أنهى وانصرف، اعترض طريقه سائل بسؤال فيه إنكار؛ مفاده: كيف يُعْقَلُ أن تُسَمى الدّية عَقْلا ؟

غفلت في تلك اللحظة عن "عقال البعير"، وغاب عني قول الخليفة أبي بكر رضي الله عنه:((والله لو منعوني عِقالا مما أدّوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه)).

اقتضى مني النظر والتمحيص العودة إلى المصادر ذات الصلة وتتبع دلالة اللفظ، وتقري علاقة الدية بالعقل. فقد ذهب ابن فارس إلى أن (عقل) العين والقاف واللام أصل واحد يدل عُظْمُه على حُبْسة في الشيء أو ما يُقارب الحبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذَميم القَول والفِعل. [12] فأصل العقل: الحبس؛ لأنه يمنع الإنسان ويحبسه عن المحذورات، والعِقال: ما يُعقَل به البعير، يقال: عقلت البعير أعقلُه عقلا: قيّدته بما يحبِسه عن الانبعاث. [13]

وذكر ابن فارس[14] أن من هذا الباب(العقل)، وهي الدّية، يقال: عقلت القتيل أعقله: إذا أدّيت ديته، وطال حديثه عن المادة[عقل]، وكان الحديث كلّه مفيدا مرتبطا بالمراد؛ أهمه أن الدّية سميت عقلا؛[15] لأن الإبل التي كانت تؤخذ في الدّيات كانت تُجمع فتُعقل بفناء المقتول، فسُميت الدية عقلا وإن كانت دراهم ودنانير، وقيل: سُميت عقلا لأنها تُمسِك الدم.

بسط ابن فارس[16] أيضا قول الخليفة أبي بكر رضي الله عنه بقوله: وأهل اللغة يقولون:إن الصدقة كلها عِقال...قالوا: وسميت عقالا لأنها تعقل عن صاحبها الطلبَ بها وتعقل عنه المأثم أيضا، وذكر أنهم تأولوا قول أبي بكر، فقالوا المراد به: صدقة عام، وقالوا أيضا: المراد بالعقال الشيء التافه الحقير، فضَرَب العِقال الذي يُعقل به البعير لذلك مثلا، وقيل: إن المصدِّق كان إذا أعطى صدقة إبله أعطى معها عُقُلها وأرويتها.

ومما تقدّم يظهر:

-البعد التاريخي للفظ وتعبيره عن المعنى المراد(الحبس/الإمساك)؛

-دور السياق في بيان الدلالة، فقولنا: عقلت البعير أعقله، له دلالة، وقولنا عُقلت الإبل بدار القتيل، له دلالة لا تختلف عن قولك: عقلت القتيل أعقله؛

-توسع دلالة العقل بمعنى الدّية؛ ليشمل الدّية التي تقدّم نقدا؛

- الجهد التأويلي الذي قام به أهل اللغة في بيان المراد بالعِقال من قول الخليفة أبي بكر رضي الله عنه.

4. النموذج الثالث(لا النافية الزائدة):

تعلق هذا (النموذج/ السؤال) بقول أبي نواس: [17]

لا تَبكِيَنّ على رَسْمٍ ولا طَلَلٍ،	واقصِدِ عُقاراً، كعينِ الدّيكِ، نَدماني

فقد هاتفني أحد الزملاء يوما مستفسرا عن إعراب (لا) الثانية من قول الشاعر، وعن عامل الجر في(طلَلٍ)، فرغم ما يبدو من ارتباط الكلمة بما قبلها، واستحضاري أمثلة من القرآن الكريم، نحو:

- قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[البقرة:254]

- قوله: **﴿عِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**[الأنعام: 59]

- قوله: **﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾**[الشعراء:88]

آثرت التثبت، فرجعت إلى آثار السابقين، فأفضى التتبع إلى ما كنت قد أحسست به؛ من أن ((لا)) نافية لتأكيد النفي. [18] وأنبّه ههنا إلى الابتعاد عن اعتبارها زائدة؛ ذلك أن "الزائد في حكم الساقط"،[19] وخاصة حين يتعلق الأمر بكتاب الله تعالى.

5. النموذج الرابع(حذف ياء الاسم المنقوص/ عادي):

بلغني الجدل الذي دار بين أستاذ ومدير مركز امتحان حول عبارة "سير عادي" التي يُذَيّل بها بعضهم محاضر الامتحانات؛ أتكتب بإثبات الياء أم بحذفها، فزعم أحدهما أنها لا تكتب إلا بحذفها، وأنكر إنكار شديدا على القائل بإثباتها.

سارعت إلى التحقيق في المسألة، فوجدت أن ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك، باب الوقف على المنقوص،[20] أشار إلى أنه إذا وُقف على المنقوص المنون؛ فإن كان منصوبا أُبدل من تنوينه ألف، نحو: (رأيت قاضيا)، فإن لم يكن منصوبا، فالمختار: الوقف عليه بالحذف، إلا أن يكون محذوف العين أو الفاء،[21] ويجوز الوقف عليه بإثبات الياء، كقراءة ابن كثير:((ولكل قوم هادي))[الرعد:7]

ويُوقف في كتاب الخصائص على ما يتصل بالمسألة، فقد أشار في باب"غلبة الزائد للأصلي"؛ بما مفاده أن الزائد إذا كان ذا معنى، فلا نظر في استبقائه وحذف الأصلي لمكانه، فالياء وهي لام تحذف في نحو: هذا قاضٍ ومعط، للتنوين. [22]

يدعونا هذا النموذج إلى التثبت والنظر في المسائل، والابتعاد عن ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، فسعة العربية و تعدد لهجاتها، وكثرة دقائقها...أمور تجعل هذا المنهج قائما.

6. النموذج الخامس(تعدي الفعل هدى إلى مفعولين):

أورد موسى الأحمدي نويوات، في معجمه "الأفعال المتعدية بحرف" أن هذا الفعل كغيره من الأفعال المتعدية بحرف، ويفهم من المثال الذي ساقه(هداه للطريق وهداه إليه) أنه يتعدى بحرف إما أن يكون اللام، وإما أن يكون"إلى".[23]

فهذا النموذج في أصله سؤال وُجّه إلى خلال الأعوام الأولى التي انتسَبْتُ فيها إلى التعليم، ففي مقياس النحو الذي دأبت على الانطلاق من النصوص في تدريسه،[24] استوقفتني طالبة في بيت من أبيات لامية ابن الوردي، تستفسر عن إعراب كلمة(سبلنا) من قوله: [25]

حارت الأفكار في حكمة من	قد هدانا سبلنا عزّ وجل

فأجبتها: أنها مفعول به ثانٍ، فاستغربت ذلك مستنكرة؛ مستندة إلى أن الفعل "هدى" لم يرد ذكره مع الأفعال المتعدية إلى مفعولين. وحتى تستأنس، أجبتها قائلا: إذا اعتبرنا أن الهداية عطاء ومنح؛ فأفعال العطاء والمنح متعدية إلى مفعولين. [26]

جلست –كعادتي- إلى بحثي المتعلق بتفسير القرآن-خلال تلك الليلة-، والفضل فضل الله يؤتيه من يشاء؛ فقد وقفت على ما يعزز إجابتي ويدعمها. فقد عرض السمين الحلبي في تفسير سورة الفاتحة التي نرددها مرات عديدة في اليوم، ما نصه:" أصل (هدى) أن يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف الجر هو إما: إلى أو اللام، كقوله تعالى(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) ويهدي للتي هي أقوم، ثم يتسع فيه، فيحذف الحرف فيتعدى بنفسه، فأصل اهدنا الصراط: اهدنا للصراط أو اهدنا إلى الصراط، ثم حذف"[27] فبان أنه من باب الاتساع يحذف الحرف فيتعدى بنفسه.

7. النموذج السادس(الماضي من دع):

تجدر الإشارة إلى أن "لامية ابن الوردي" النص المذكور سلفا، كان يمدنا في كل عام بثمار، ففي عام كانت ثمرة النص"الفعل هدى المتعدي إلى مفعولين"، وفي العام الموالي له كانت الثمرة"الماضي من دع". فقد سألتني طالبة عن ماضي فعل الأمر"دع" من قول الشاعر:

ودع الذكرى لأيام الصبا	فلأيام الصبا نجم أفل

أجبتها قائلا: ودع. وواصلت درسي، فلحظت ارتيابها، إن لم أقل استهزاءها، من خلال الضحك الذي تقاسمته وزميلتها.

لما انصرفت، جلست مع بحثي كالعادة، وكنت حينها قد وصلت إلى سورة آل عمران، قول الله تعالى:(**مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ**

عَظِيمٌ ﴾[آل عمران:179]، فقد وقف الشعراوي عند كلمة"يذر" قائلا:"وكلمة ((يذر)) تعني يترك أو يدع، والدارسون للنحو يعرفون أن هناك فعلين هما((يذر)) و((يدع)) أهملت العرب الفعل الماضي لهما، فهذان الفعلان ليس لهما فعل ماضٍ".[28]

فالمتأمل يدرك أن قياس اللفظ موجود، إلا أنه غير مستعمل، وبعد مدة يسيرة(في ذلك المجلس)، قادتني عناية الله وإرادته إلى كتاب "سعيد الأفغاني"[29] ليحيلني إلى كتاب "الخصائص" لابن جني "باب القول على الاطراد والشذوذ"؛[30] ففي هذا الباب بيّن أصل(ط ر د) في كلام العرب، وهو التتابع والاستمرار، وأصل (ش ذ ذ) في كلامهم وهو التفرق والتفرد، وحدّ المطرد عند علماء العربية بأنه: ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة. وأن الشاذ هو ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره. وأظهر أضرب الاطراد والشذوذ الأربعة:

- مطرد في القياس والاستعمال جميعا؛
- مطرد في القياس، شاذ في الاستعمال؛
- مطرد في الاستعمال، شاذ في الاستعمال؛
- شاذ في القياس والاستعمال جميعا.

واختص الحديث عن "ودع" في الضرب الثاني(مطرد في القياس، شاذ في الاستعمال)، وقال عنه: من ذلك امتناعك من: وَذَر، وَوَدع؛ لأنهم لم يقولوهما، ولاغرو[عليك]أن تستعمل نظيرهما، نحو: وَزن، ووَعد؛ لو لم تسمعهما. فأما قول أبي الأسود:

لَيْتَ شِعْرِي عن خليلي ما الذي	غاله في الحُبّ حتى ودَعَه

فشاذّ. وكذلك قراءة بعضهم(ما وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى). فأما قولهم: ودَع الشيء يَدِع- إذا سكن- فاتدع؛ فمسموع مُتّبَع...

وأذكر أن ابن جني أشار إلى المسألة أيضا في باب"الاستغناء بالشيء عن الشيء"،[31] مستندا إلى قول سيبويه "أن العرب قد تستغني بالشيء [عن الشيء] حتى يصير المستغنى عنه مسقطا من كلامهم البتة".

واستدل للباب بقوله"فمن ذلك استغناؤهم بترك عن(ودع)، و(وذر). فأما قراءة بعضهم((ما ودَعك ربك وما قلى، وقول أبي الأسود(حتى ودَعه) فلغة شاذّة، وقد تقدم القول عليها".

النظر في الأقوال السابقة يجعلني أقف عند قول الشعراوي " أهملت العرب الفعل الماضي لهما، فهذان الفعلان ليس لهما فعل ماضٍ "، للإشارة إلى أن القول فيه شيء من الاضطراب، فقوله أهملت العرب الفعل الماضي لهما، لا يخرج ماضيهما من دائرة الوجود، أما الجزء الثاني من القول" فهذان الفعلان ليس لهما فعل ماضٍ" يلغي جزءه الأول، فقوله" أهملت العرب ..." لا يتفق مع قوله" ليس لهما فعل ماضٍ ".

ثم إن الوجه القرائي الذي أورده ابن جني((ما وَدَعك)) لئن كان شاذا؛ وهو الذي صنف في القراءات الشاذة؛ الضرب الذي تعدّى ما اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، أي ضرب خارج عن قراءة القراء السبعة الذين

خصّهم ابن مجاهد بالتصنيف، وقد أكدّ ابن جني على أنه مع خروجه وتعديه للمجمع عليه، إلا أنه يُنزع بالثقة إلى قرّائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيرا منه، مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه. [32]

يستوقفني إلى جانب هذا في مقدمة كتابه المحتسب أمور منها: [33]

-تصريحه بالغرض من وضع الكتاب"غرضنا منه أن نرِي وجه قوة ما يسمى شاذا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرَى مُرى أن العدول عنه إنما هو غضّ منه، أو تهمة له"؛

- اعتقاده قوة هذا المسمى شاذا؛

- سوقه أمثلة، مشيرا إلى أنه مع ضعفها، إلا أنه مأخوذ بها.

فالذي يظهر أن هذه القراءة وإن شذّت تدفع إنكار من ينفي وجود ماضي(يذر ويدع)، كيف والشاهد الشعري لأبي الأسود يسندها، ومن لا يعرف قدر أبي الأسود وجهده في وضع علم العربية(النحو)، بإرادة منه أو بإشارة من غيره،[34] فقد رُدت إليه بواكير الدرس اللغوي بدءا بالنقط والشكل والإعجام، فوضع النحو. [35] فكيف يرد قوله (حتى ودَعه)، وهو الذي "فزع إلى ضبط [الملكة] بالقوانين الحاضرة والمستقرأة" يوم أن تغيرت. [36]

أما في باب الاستغناء بالشيء عن الشيء، فيسترعي الانتباه قوله"أن العرب قد تستغني بالشيء [عن الشيء]"؛ إذ يُستفاد منه أن ((قد)) تدل على التقليل، ويُستفاد أيضا أن قوله" حتى يصير المستغنَى عنه مسقطا من كلامهم البتة " يختلف عن قول القائل: حتى سقط المستغنى عنه من كلامهم البتة. على ما يلمس في لفظة "يصير" من تحول وانتقال.

قدمت هذه النصوص وحاولت النظر فيها، بما يؤنس المنكَر عليه، ويهدّئ المُنْكِر، ويحمله على قبول الوجه الآخر ولو كان نادرا شاذا، فما كان قليلا لا يعني أنه غير موجود. والله سبحانه أجل وأعلم

8.خاتمة:

مما تقدم، فشرف اللغة العربية وعظم كتابها ظاهر، ومن خلال تلك الآراء والتعليلات تتجلى عبقرية العقل العربي الذي تفرّد في التقعيد للغته، ودراستها، وبيان خصائصها، وبان أن خدمة الكتاب الكريم وفهمه وإفهامه كان الدافع الأكبر لتلك الدراسات، وواجبنا اليوم السير على هدي أولئك الأفذاذ بـ:

-الإقبال على مدراسة القرآن ودراسته؛ بتتبع ألفاظه وتراكيبه وأساليبه، والالتفات إلى نكته وأوجه إعجازه، واستثمار ذلك لخدمة العربية، مما يمكّن الناشئة من تلمّس جمالها وجلالها.

- استثمار القراءات القرآنية التي مع اختلافها لم يتطرق لها تضاد ولا تخالف ولا تناقض؛ بل إن الشاذ منها يكشف عن سعة هذه اللغة.

- الانطلاق من النصوص الأدبية(الشعرية/ النثرية) في تعلم اللّغة والإقبال على فهم كتاب الله وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، والاستدلال بها (النصوص) ولها.

- دراسة العامية واستثمار ما فيها من رواسب الفصحى في خدمة القرآن واللغة، وتحسين الذوق.

- النظر والبحث في المسائل، والتثبت في الجواب وإصدار الأحكام وردّ الآراء، باستحضار سعة هذه اللغة وصعوبة الإحاطة بها. ولله در حافظ إبراهيم القائل: (37)

أنا البحرُ في أحشائه الدُّرُّ كامنُ	فهل سألوا الغَوّاص عن صَدَفَاتي

- الإقبال على المعاجم بأنواعها المختلفة(معاجم ألفاظ، معاجم معاني، معاجم متخصصة..) بالنظر والبحث والتحليل والمدارسة.

9. قائمة المراجع:

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- بهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المفصل، دار الفكر للنشر والتوزيع، دون طبعة، دون تاريخ،(12جزء).

2- ابن جني(أبو الفتح عثمان392ه): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دون طبعة، دون تاريخ، (3أجزاء).

3- .....، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شبلي، إعادة طبع: محمد بشير الأدلبي، دون طبعة، دون تاريخ(جزءان).

4- حافظ إبراهيم: الديوان الشعري، ضبط وتصحيح وشرح وترتيب: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة3، 1987.

5- ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد الحضرمي 808ه) : المقدمة، تح: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، طبعة1، 2005، جزء واحد.

6- السمين الحلبي(أحمد بن يوسف 756ه): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د ون طبعة، د ون تاريخ(11جزء).

7- .....، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المعجم اللغوي لألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طبعة1، 1996،(4 أجزاء).

8-السيوطي(أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين 911ه): الإتقان في علوم القرآن، طبعة جديدة محققة مخرجة الأحاديث مع الحكم، تحقيق: شعيب الأرناؤط، اعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، طبعة1، جزء واحد.

9- الشعراوي(محمد متولي): خواطر حول القرآن الكريم، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، د ون طبعة، دون تاريخ، (20جزء).

10- ابن عقيل(بهاء الدين عبد الله 769ه): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تعليق وشرح: نوري حسن حامد المسلاقي، دار الساقية للنشر، بنغازي ليبيا-دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، طبعة 1، 2009، (جزء واحد).

11-ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن زكريا 395ه): مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشامي، دار الحديث، مصر، القاهرة، د ون طبعة، 2008، (جزء واحد).

12- نويوات (موسى الأحمدي): معجم الأفعال المتعدية بحرف، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص408.

12- الهاشمي (السيد أحمد): القواعد الأساسية للغة العربية، حسب منهج متن الألفية لابن مالك، وخلاصة الشراح، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.

14- ابن الوردي(زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر 749ه): الديوان الشعري، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، طبعة1، 2006.

المواقع الإلكترونية:

15- الموسوعة العالمية للشعر العربي؛ http://www.adab.com

8. الهوامش:

1- بيّن مولود قاسم نايت بلقاسم رسالة المسجد بحديث عنونه بـ"المسجد جامع وجامعة"؛ ينظر، أصالة أم انفصالية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2013، ص185 وما بعدها.

2- وردت في أربعة مواضع هي:﴿ ﴾[الأنعام:116]؛ [الأنعام:148]؛ [يونس: 66﴾[الزخرف: 20].

3- سبقت الإشارة إليها، [الذاريات:10].

4- أشير إلى أن عبد الله صولة درس " حجاجية الكلمة القرآنية وخصائصها"، ينظر، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2001، ص63 وما بعدها.

5- ذكر السيوطي في باب معرفة "غريب القرآن"، أن أبا عبيد أخرج في الفضائل عن إبراهيم التميمي، أن أبا بكر الصديق، سُئل عن قوله تعالى في سورة عبس: 31]، فقال: أيّ سماء تظلني أو أي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وأخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر *"أبا"* فقال هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر. الإتقان في علوم القرآن، طبعة جديدة محققة مخرجة الأحاديث مع الحكم، تح: شعيب الأرناؤوط، اعت وعل: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص239.

6- السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المعجم اللغوي لألفاظ القرآن الكريم، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1996، ج1، ص497-498.

7- الآيتان سبق ذكرهما وهما: الآية 116من سورة الأنعام و الآية 10 من سورة الذاريات.

8- أخبرني صديق من ولاية أدرار أن الخرص يُعطى أيضا لتقدير "الماء"، وقد عثرت على ذلك عند: مبروك مقدم، الأنماط الإنتاجية التقليدية في القصور التواتية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ج5، ص33 وما بعدها.

9- عمدة الحفاظ، م س، ص ن.

10- ابن فارس، مقاييس اللغة، [مادة خرص].

11- الدكتور "مصطفى ياحي"، أستاذ الفلسفة وأصول الدين، المركز الجامعي نور البشير البيض، صاحب كرسي السيرة النبوية، مسجد العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، البيض.

12- ابن فارس، مقاييس اللغة، [مادة عقل]

13- السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج3، 107.

14- ابن فارس، م س.

15- (عقل) اسم مصدر، لخلوه من همزة فعله(أعقل)؛ وقد ميّز النحاة بين "المصدر" و"اسم المصدر"؛ فاسم المصدر يدل على المصدر، فيكون دالا على الحدث بواسطة دلالته على المصدر، ويتميز اسم المصدر عن المصدر بكونه لا يشتمل على جميع حروف فعله في الماضي؛ بل ينقص عن حروف فعله من غير =تعويض. ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تع وشر: نوري حسن حامد المسلاقي، دار الساقية للنشر، بنغازي ليبيا-دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، ط1، 2009، ص372 وما بعدها.

16- ابن فارس، مقاييس اللغة، م س، [مادة عقل]

17- قصيدة: عُجْ للوُقوفِ على راحٍ ، وريحانِ، يرجع: الموسوعة العالمية للشعر العربي؛ *http://www.adab.com*.

18- ينظر، بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المفصل، دار الفكر للنشر والتوزيع، دط، دت، ج1، ص351، وج3، 236، وج8، ص209.

19- قاعدة جاءت في هامش كتاب: السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، حسب منهج متن الألفية لابن مالك، وخلاصة الشراح، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، دط، دت، ص125.

20- شرح ابن عقيل، م س، ص 599 وما بعدها.

21- ذكر ابن عقيل أنه إذا كان المنقوص محذوف العين كـ(مُرٍ) اسم فاعل من (أرى)، أو كان محذوف الفاء كـ(يفي) –علما- لم يُوقف إلا بإثبات الياء، فيقال: هذا مُرِي، وهذا يفي، وهو المشار إليه في قول ابن مالك (وفي نحو مُر لزوم ردّ الياء اقتُفي). شرح ابن عقيل، م ن.

22- ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د ط، د ت، ج2، ص477.

23- موسى الأحمدي نويوات، معجم الأفعال المتعدية بحرف، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، ط خ، 2009، ص408.

24- تجربة أنطلق فيها من إملاء النص، فكتابته على السبورة، فتشكيله إن كان شعرا، ثم إنشاده، والمطالبة بحفظه، ثم تصنيف الكلمات حسب أقسام الكلام...تعقبها خطوات أخرى ليس هذا موضعها، عسى الله أن ييسر فرصة لعرضها.

25- ابن الوردي، الديوان الشعري، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، ط1، 2006، ص278.

26- مستفاد من حديث الشعراوي عن هداية الدلالة وهداية المعونة، قال: "هناك من لا يأخذ طريق الهداية بالاختيار الذي أعطاه الله له"، ينظر، تفسير الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، د ط، د ت، ج1، ص85 .

27- السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د ط، د ت، ج1، 62.

28- تفسير الشعراوي، م س، ج3، 1898.

29- في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دط، 1994، 63؛ وأشار إليها أيضا: مازن المبارك، النصوص اللغوية، نصوص من كتابي الخصائص والمزهر في علوم اللغة، دار الفكر، دمشق، ط3، 1981ص108 وما بعدها.

30- الخصائص، م س، ج1، ص96 وما بعدا

31- م ن، ج1، ص 266.

32- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شبلي، إعا. ط: محمد بشير الأدلبي، دط، دت، ج1، ص 32.

33- المحتسب، م س، ص32 وما بعدها.

34- ينظر، ابن خلدون، المقدمة، تح: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص 460.

35- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ط1، 1980، ص53 وما بعدها.

36- ابن خلدون، م س، ص460.

37-حافظ إبراهيم، الديوان الشعري، ضب وتص وشر وتر: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1987، ص254.